القصص

أساة من اسخيلوس

٢ ـ أجاممنون

للأستاذ دريني خشبه

« آرجوس ! »

« وطني العزيز ! »

« أرباني ! . . . »

« لكم في عنق دين أبدي من الشكر ، وفي فمي لسان رطب لا يفتر عن ثناء ؛ فلولاكم ما نسمت هذا العبق الحلو الذي يتأرج به هواء هذا البلد ، ولا ظفرت باليوم الخالدة ، دولة بريام ، ودرة هذا الزمان ! أجل ! فلقد بدد الآلهة ما ألم بشرفنا القومي ، وحاق بعزتنا الوطنية ، فقضت أن تكون طروادة نهباً مقسما لا يحل إلا للهيلانيين ، فلا تزال ألسن النيران تعلن في الخافقين حكمة السماء من أبراجها الشاهقة ، وصياصيها السامقة ، وقصورها الشماء ... وغداً تصبح صعيداً جُرُزاً وطللا بالياً ... من أجل من ؟ من أجل امرأة !

أما أنتم يا رعاياي فأشكر لكم إخلاصكم ووفاءكم وتعلقكم بهذا العرش الذي يستمد قوته منكم وما يزال يرتقي بتأييدكم ... وسننظر فيما تم إذ نحن نازحون عن الديار فنجزي كلا بما عمل ، ولا نغضي عن إساءة المسيء ، ولا نتسامح في تأليب المتألبين ... يا آلهة النصر ... لك الحمد ولك الثناء ... لا زلت تباركين آرجوس ، ولا برحت أياديك تُنَضِّر هذا الوطن »

— ١٦ —

وما يكاد الملك ينتهي من كلامه حتى تدخل الملكة ... الملكة كليتمنسترا ... أو الحية الرقطاء ! ... التي لا تفتأ تتحدث إلى الملأ عن حبها للملك ، وعن الآلام المبرحة التي عصفت بقلبها أثناء غيابه ، والوحشة التي ظلت تخيم على الـ (پلپپوديه) العتيق الشاهق طيلة هذه السنين العشر ... وتتحدث عن الاشاعات المحزنة التي تناقلتها الألسن عن الملك المفدى في ميدان إليوم ... ثم .. ترى ألا بد من كلمة عن هذا الأمير الصغير المنفي ... أورست ... الذي هو « ثمرة حبنا وواسطة عقدنا ، والنور الالهي الذي يغمر قلبينا ويؤلف بين روحينا ... إنه ينشأ ويشب ويترعرع في كنف صديقنا وحليفنا ، وحافظ ودنا ، الأمير ستروفيوس ، صاحب فوسيز ، الذي تفضل فحمانى في غيبتك ، وذاد عن قصرك المنيف تكالب الأرجيف[1] ... ... ولقد كنت أتقلب على إبر الشوك حنيناً إليك ، وشوقاً إلى لقائك ... وكنت أبداً حزينة كاسفة لأن النيران لم تشتعل مؤذنة بأوبتك ... ولكن ... ها أنت تعود فتعيد الآمال إلى القلوب الواجفة ، والايمان إلى النفوس التي نكأها اليأس ، والرجاء إلى كل من عزه الرجاء ... ... »

ثم تختال الملك وتخدعه ، عسى أن تنطلي عليه تدبيراتها السود فيلج معها في القصر ، وتنفذ فيه الغيلة الرائعة الرهيبة التي رسمتها له ، والتي آلت إلا أن تكون بيدها . . . وبسلاح عاشقها الآثم إيجستوس ...

« ... والآن هلم يا ملكي ... يا رجاء آرجوس وفخر هيلاس كلها . . . هلم فترجل من تلك العربة الفخمة الفاخرة ذات الأوشية ، وطأ أرض القصر المتيد بقدميك الراسختين ، كما وطأت بها عز طروادة ومنعتها . »

وتكون الملكة قد أعدت بساطاً كبيراً من الخز الأحمر الأرجواني ليمشي عليه الملك ، فتأمر فتياتها وجواريها أن يبسطنه على المرمر الناصع ... « ليخطر عليه ملكي ، وليتم بهاء اليوم

(١) أهالي أرجوليس

... وأبهة النصر ... بما عاد رب البلاد ظافراً ! »

— ١٧ —

وتصدع الجوارى فيبسطنه

ولكن أجاممنون ، الذى كان الوسواس يملأ قلبه ، والشك يذوب فى كل قطرة من دمه ، وسرطان الهم ينهش نفسه الحائرة ... ظل فى عربته متردداً ...

ذلك أن كاسندرا ، تلك النبية الجالسة بجانبه ، ابنة بريام التى جلبها معه لتكون خليلة له فى ا — (بليبوديه) — كانت قد تحدثت الى الملك ، فكشفت له أستار الغيب ، وتنبأت عما ينتظره من دم ... وغدر ... وما ينتظرها هى أيضاً من مثل هذا المصير الأحمر ... والقدر المحبوء ...

وكانت أصداء النبوءة التى ملأت بها كاسندرا رَوْع الملك ، ما تزال تتجاوب أصداؤها فى قلبه ، وتهتف به بألف لسان أن ... يحترس ! فقال للملكة :

« إيه يا ابنة ليداء ، وحارسة عرشى وحامية صولجانى ! لقد استطالت تهنئاتك بقدر ما استطال نأيى وشط نزوحى عن آرجوس ! بيد أنى كنت أوثر الثناء الموشى من غيرك ، وكنت أوثر ألا أرى فيك تلك القادة اللعوب من غادات الشرق السحرى ... تنحوى وتتلوى ... وتلقى رجلها بكل مصنوع ومجلوب ! ثم ماهذا البساط الأحمر الحريرى ؟ هل أصبح أجاممنون إلهاً ؟ إن البسط الحمراء لا يخطار عليها غير الآلهة ... فهى حق مقدس لهم ... أما بنو الموتى ، فليس أجلب للذعر ، وأدنى للرهبة ، من أن يتطاولوا على حقوق الأولب ، ويؤثروا أنفسهم بما ينبغى أن يبقى للسماء ! ... والمجد ... بعد كل ذلك ... لا يعوزه أن يسير على مهاد من المخمل ، أو أن يهز أعطافه فى حلل الدمقس ... إيه ! الخلود والمجد لمن تنتهى حياته الحافلة فى أمان وسلام ! »

— « ماذا أيها الملك ؟ هلم فحدثنى ... واجل لى خافيتك ؛ ماذا تريد أن تقول ؟ »

— « سأجلو لك كل شىء حتى لا يكون خفاء بيننا : »

— « قد تكون نذرت هذا فى ملمة نزلت بك ! »

— « بديهة حاضرة يا ابنة ليدا ؟ »

— « وما كان من أمر بريام ؟ وبم استحق هذه النهاية إذن ؟ »

— « أغلب ظنى أنه فرش طريقه بالخز والديباج ... ؟ فخنقت عليه الآلهة ؟ »

— « أنت تأبه كثيراً لما عسى أن يتقول الغوغاء ! »

— « وأى شىء هو أعنف من تقولات الغوغاء ؟ »

— « من لا حسود له ، لا معجب به ! »

— « آفة المرأة أنها أبداً تثير الشغب والاضطراب ! »

— « حاشاى ! بيد أنه من العظمة للمرأة أن تخضع فاتحاً عظيماً (كفاتح طروادة !) »

— « أفتحن إذن فى معركة حتى يشتد حرصك على الغلبة فيها ؟ »

— « هلم .. ترجل .. دعنى أنتصر على قاهر طروادة ! »

— « إذا كان لا بد من هذا ، فمرى أحداً ينزع حذائى فقد يطلع أحد الآلهة من ذروة الأولب فيرى إلى أطأ الخز الأحمر الأرجوانى بهما ، فينقم على ويثور بى ... كم أضطرب حين أخطو خطوة واحدة على هذا الديباج ؟ ... »

(تتقدم جارية من جوارى الملكة فتنزع حذاءه)

— « إيه ... قضى الأمر ... ولكنى أرجوك أن تتقبلى هذه الغريبة النازحة فى حنان وفى حب ... فما تزال السموات يتبسمن كلما اطلعن فشهدننا نتلطف فى استعمال جبروتنا ! .. لقد منحنى الجيش إياها من سبْى اليوم ... (يترجّل وتنزل كاسندرا بمكانها من العربة) ... فأما وقد ظفرت بطلبتك فانى أمشى على هذا الأرجوان إلى قاعة العرش »

وتتملقه الملكة بكلمات فيدخل إلى قاعة العرش ، وتضرع كليتمنسترا إلى سيد الأولب أن يحرس ما دبرت ، وأن يتولى الغيلة التى أعدت للملك ببركاته ! !

— ١٨ —

ويترنم الخورس بأنشودة شفافة ، ينعكس فى صفائها غدر المرأة وشدة مكرها ...

ثم تحضر الملكة فتشير إلى كاسندرا قائلة : « ... هلمى فادخلى أنت أيضاً يا كاسندرا ... أدخلى ... ما دامت السموات قد ساقتك إلى هنا لتتقاسم أمواه هذا المطهر القربانى ... هلمى ... انزلى من هذه العربة المطهمة التى يبدو أنها نفخت أوداجك ريح الكبرياء ! ... إنزلى ولا يؤلمك ما أنت فيه من أسر وذلة ونفى ... فما أنت بخير من ابن ألكمين [1] العظيم الذى قضى

(١) هى طبعاً تريد هرقل وما قاسى من ذلك المنفى عند الملك يوريثيوز ملك أرجوس

حاً طويلاً فى ربقة الأسار ... عند ملك جبار ... هنا ... نفس هذا القصر ! إنه لشرف أى شرف أن تخدمى فى (پيلوپيديه) ، مادمت قد استسلمت لنزوة أحلامك حتى ت بها حدودك يا فتاة ! إنزلى ... فان لك أن تشمخى بأنفك ، يهى على أندادك ، لأنك ستكونين جارية من جوارى ملكة جوس ! »

رئيس المنشدين : « لقد قالت وقد سمعتِ ! وكلامها بين ... ! مالك مكدودة هكذا ؟ ... قد تفكرين فى الطاعة ... كن ... قد ينجلى اشمئزازك بعد حين ! »

كاپتمنسترا — « رضخت أو لم ترضخ ... لابد من تصغى لى ! »

رئيس الخورس — « أطيعى يا فتاة ... قد يكون هـذا مالحك ... إنزلى ! »

كليتمنسترا — « إن النيران المتأججة تنتظر بفارغ الصبر تلتهم قرائس المذبحة ، وقد نضب معين الرحمة ، وغاض ماء فنان ، وليس هناك وقت نضحى به من أجل بكمك أيها الفتاة ، ذا لم تستطيعى التكلم بلساننا فلتؤد يداك ما تريدين أن تجيبى ... تكلمى ! »

ولكن كاسندرا ما تزداد إلا صمتاً ، وما تزداد إلا سكوناً ، يقول رئيس الخورس :

— « يبدو أنها فى حاجة إلى ترجمان ... ... »

وتتميز الملكة من الغيظ ، فتحدج الفتاة بعينين تقدحان الشرر ... وتنطلق داخل القصر ...

— ١٩ —

ويرثى الخورس للفتاة المنكودة ، ويروعه هـذا الأسى الذى يتشح به وجهها ، وتلك الكآبة التى تجال جبينها ، فيعطف عليها ، ويدعوها لتنزل من العربة ... فاسمع إذن إلى هذا الحديث المشجى :

— « إنزلى ... أصيخى للقضاء ، وسلى للقـدر ... إنزلى ! »

— « آى ... آى ... أوه ... أپوللو ... أپوللو ! »

— « فيم هتافك الباكى بأپوللو ... ؟ »

— « آى ... أپوللو .. أپوللو ... آى ، آى ، أوه أپوللو ... ! »

— « ما تنفكين تهتفين بالاله الذى أصم أذنيه عنك ؟ »

— « آه يا أپوللو يا إلهى ! أيها البانى العظيم والمخرب العظيم ! بنيت طروادة ... وحطمتنى ! وها هى يدك تمتد فى غير رفق مرة أخرى فتعبث بى ! »

— « اسمعوا يا رفاق ! إنها تتنبأ عما يخبىء لها القضاء ... كأن فيها جذوة من السماء [1] ! »

— « أپوللو ... أپوللو ... يا بانى طروادة ... ياهادم بنيانى .. ماذا هنا ؟ أى سماء ؟ فيم جئت بى هنا ؟ »

— « هذا قصر الاتريديه [2] إن لم تكونى تعرفينه بعد ! »

— « آه ! ... حاشا ! بل هو كهف رهيب رائع ! ممقوت من السماء ! ملطخ بدماء الأثم ، مضرج بأرواح الشهداء تجثم الجريمة فى كل ركن من أركانه ! »

— يا للآلهة ! إنها تشم رائحة الدماء ... وكأنها قريبة منها بل هى بين ناظريها لا شك ! »

— « أجل ! ... أجل ... هناك . هناك . هناك . وها كم برهان قاطع ... تشمموا معى ... ولكن ... لا ... إنى أرى ... إنى أنظر ... الأطفال الأطهار الذين ذبحوا ... هاهم يتصايحون بقاتلهم وهاهى لحومهم ... الشواء ! ... مسكين أبوهم ! لقد أكل ... ! لقد قرت لحومهم فى بطنه ! »

— « أيتها الفتاة ! لقد طبقت شهرتك الآفاق كنبية تكشف الغيب ما كان منه وما يكون ! ولكنك هنا ... ولا حاجة لهذا المكان المرعب بأنبياء ! »

— « آه ! ... وماذاك أيضاً ؟ ويلى ! جريمة جديدة وحزن جديد ! ثمرة مرة من ثمرات الطغيان ! إنها تدبر الآن ... تحت سقفك أيها القصر الهائل ! طاعون ! طاعون مهلك لا سبيل إلى الفرار منه ! من عمل البغضاء العمياء للعجبة المبصرة ! الغوث ! ويلاه لاغوث ! »

— « لا أكاد أستبين هذه النبوءة ! لقد كانت الأولى جلية واضحة ! وكل مدينتنا ما تزال تتحدث حديث الوليمة المجرمة ! »

— « ياشقية ! زوجك ياشقية ! كيف تجسرين ؟ هاهى ! إنها تمد يدها الأثيمة ! إن الضربة الهائلة تتلو الضربة الهائلة ! ... »

— « ولم أفهم بعد ! إن نبيتنا تلغز ... إن نبوءاتها طلسمات »

(١) النار السماوية هى القضاء والقدر واستطاعة كشف الغيب فى الميثولوجية اليونانية (٢) أسرة أجا ممنون

— « يا للشبح ! ويلاه ! ما عساه أن يكون ؟ شراك من الموت ... ومن الجحيم ! بل هو شرك الغرفة السوداء ... غرفة الشريك المجرم ! هلمي يا غربان الويل ... يا أبابيل الاثم ! هوّمي فوق هذا القصر ... أو إن اسطعت فارجميها ... أرجميها ... ! »

— « أية أبابيل تستنزلين رجومها على القصر ؟ إن دعاءك يذهلني ! إن قطرات الموت المسمومة تتسرب إلى شغاف قلبي ؛ حينما تتسرب لُمَعُ الحياة من جراح القتلى ... ! أوه ... ما أسرع الحزن انحداراً في القلوب ؟ ... »

— « ماذا أرى ؟ آه ... أسرعوا ... أسرعوا فاحجزوا البقرة واحموا العجل ! أنظروا ! أنظروا ! إنها تأخذ بتلابيبه ... وتخوض في لبته بسلاحها ... آه ... لقد سقط المسكين يتشحط في دمه الغزير ... ! »

— « لقد كنت أنخر بما أقدر عليه من كشف للغيب ، أحدس الآن أن هذا الهـذيان لا يدل على خير !! يا للآلهة ؟ أبداً لم يكن الترجيم جلياً بيّناً ! وأبداً لم يضف الأنبياء أثارة حبور على هذا الـكون ! إن الأشجان بضاعتهم دائماً ، وإن اللغو من القول آلتهم إلى أذهان الناس ، وهم لا يضربون إلا على أوتار الذعر ليصلوا إلى غور قلوبنا ! »

— « ويلي ! بالحظي العاثر ! لقد أترعت الـكأس بما رويت من قصتي السادرة ! لم جئت بي إلى هذا القصر معك أيها التعيس ؟ ألأموت معك ؟ وماذا أيضاً ؟ لأموت ؟ لأموت ؟ »

— « ما تزدادين إلا هذياناً وهـذراً !؟ وما بك إلا مس ؟ وإنا لا ندري : هل حملك إلـه إلى هـذا القصر لتتفيء حظك العاثر ، كما تفننت أختك البابلة [1] الحزينة من قبل ... ... »

— « ياويح لي ! ومن لي بنصيب مثل نصيبها ! الحورية الجميلة التي منحتها الآلهة ريشاً وأجنحة ؟ لقد سلمت وودعت وفازت بحياة طيبـة ... ... أما أنا ... فقريباً أشق بنصل حاد فأكون شطرين ! ... »

— « ياعجباً ! أنى لك هذا ؟ ... من بذر فيك هذه البذرة السوداء ؟ أنى لك تلك الأغنية الـكئيبة ، وهذا اللحن الحزين ؟ من أين تتنزل عليك موسيقاك الباكيـة ؟ من أوحى اليك بهذا الوسواس الخبيث ؟ ... »

« البقية في العدد القادم »

دريني خشبة

(١) أسطورة البلبل الحزين تقول بأن احدى الأميرات ألمت بها ملمة فما برحت تشجى وتحزن حتى رثت لها الآلهة وحولتها إلى بلبل غرد ...

القفـــاز

بقلم حسين شوقي

(س) عنده الصفات التي تكفل عادة للمرء النجاح في مي الحياة : الذكاء والشباب وحسن المنظر .. ولكنه خج لسوء الحظ إلى حد بعيد ، وقد أفسد عليه خجله أموراً ك وعاق مستقبله ، إذ أن س لا يعمل غير عمل متواضع ، في مجاري متواضع . .

ماذا يفعل (س) في خجله ؟ ماذا ؟ لماذا عالج هؤلاء الأغر الحكماء الفهاهة بوضع قطع من الحجر في الفم ولم يفكروا معالجة الخجل ؟ . .

وإذا كان خجل (س) عاق مستقبله المادي ، فانه أشد عليه ضرراً في ميدان العاطفة . . إذ أنه برغم كونه ريعان الصبا لم يعرف الحب بعد . . أو على الأصح لم يتصل بـ ما . . مع أنه كان تواقاً بشـــدة إلى الحب . . كم خفق قلبه « السينما » عند ما يتلاقى المحبان على الشاشة بعد فراق طويل وكان إذا عاد إلى منزله بعد مشاهده مثل هذه المناظر الغراميـ يرتمي على المخـدّة ليدفن فيها حزنه وألمه ، ويأخـذ في البـ الشديد . . لم يجد (س) في حياته الجرأة لمغازلة الفتيات ، حق أن بعضهن غازلنه ، ولكن س لم يكترث لهن ، لأنهن يتفاوتن في الدمامة ، و (س) لا ينظر إلا إلى الجمال ، لأن الحب نظره أمر سماوي مقدّس . . وكثيراً ما كان يذهب إلى المتـ العمومي ، حيث كان يأمل التعرف بسهولة إلى حبيبة القلب المرتقبة فهناك ربما تنسى فتاة منديلها ، (أو حقيبة يدها) على أحـ المقاعد ، فيلتقطه ويقدمه لها ، فتتم بهذه السهولة المعرفة بينهما

يا للعجب ! ها هي أمنية (س) تتحقق ، لأن المقادير التي تض علينا بكسب سباق (الدربي) ، لا تضنّ علينا بتحقيق أما المتواضعة ...

إليك كيف تحققت أمنية (س) :

شاهد (س) ذات يوم سيدة رائعة الجمال (كما تخيلها أحلامه) تجلس في المتنزّه على أحد المقاعد وهي تقرأ كتاباً يدها باهتمام شديد ، فجلس (س) حيالها على مقعد يترقب فرـ